المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٦ايـو نيـو ٢٠٠٥

معضلات عصريه
هل من تغيير كبير في سوريا؟

بقلم : محمد سيد احمد

خفف حزب البعث الحاكم في سوريا القيود المفروضه علي المجتمع السوري في ختام موتمره القطري العاشر الذي عقد في الاسبوع المنصرم في دمشق وسط ضغوط دوليه مكثفه.. لقد عدل الحزب قوانين الطوارئ الساريه منذ اربعين عاما، كما نظر في سن قانون يقلل من القيود المفروضه علي احزاب المعارضه ووسائل الاعلام المستقله.. ولكن مازالت المحصله النهائيه يكتنفها كثير من الغموض..

لقد امر حزب البعث قوات الامن بعدم التدخل في الحياه الثقافيه والاجتماعيه للمواطنين السوريين الذين لن يضطروا في المستقبل للحصول علي موافقه الحزب قبل عقد قران او اقامه موسسه تجاريه!.. ولكن القاده الحزبيين اكدوا ان حزب البعث يعتزم الاحتفاظ بدوره المركزي في السيطره علي الدوله والمجتمع..

وقد تحدث الرئيس بشار الاسد في افتتاح الموتمر عن الاصلاحات الاقتصاديه، ولكنه لم يشر الي الاصلاحات السياسيه، مما سبب خيبه امل لكثيرين.. السوال المحوري هو: هل المطروح قصر استجابه الدوله للمطالب الاقتصاديه علي القدر اللازم لتبرير ارجاء تطبيق المطالب السياسيه، وليس الا؟

هل هذا هو المطروح، ام التريث في تطبيق المطالب السياسيه للحيلوله دون ردود افعال تفلت من السيطره؟.. بعباره اخري: هل التعاون تكتيكي ام استراتيجي؟.. رد الضغوط، ام تجديد المجتمع فعلا وعلي الامد الطويل؟..

لقد ناقش اعضاء الحزب قوانين تسمح بتاسيس احزاب سياسيه، علما بان موتمر الحزب لايملك صلاحيه تغيير او سن قوانين، ولكن بامكانه اصدار توصيات قد تاخذ بها الحكومه او لاتاخذ..

غير ان مجرد التسليم بان للحزب دورا مركزيا يزيل عن المجتمع صفه الديمقراطيه.. ذلك ان الافتراض بان الحزب موهل للنهوض بدور قيادي في المجتمع دون ان يستمد هذا الدور من انتخابات حره نزيهه، وانما من كونه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

قد اعلن انه يملك عقيده سياسيه صحيحه، يحمل معني ان المحك هو الانتماء الي عقيده سياسيه بعينها، لا سياده الشعب..

تخفيف القيود

لقد اقر حزب البعث في سوريا في نهايه موتمره القطري تخفيف القيود المفروضه علي المجتمع السوري بموجب قانون الطوارئ الساري منذ اكثر من ٤٠ عاما، كما سمح الحزب في ختام موتمره بانشاء احزاب سياسيه جديده بشرط الا تكون مرتكزه علي اساس ديني او عرقي.. فهل كان ذلك نتاج الاجواء التي سادت الموتمر طوال ايامه الاربعه؟ ام نتاج ضغوط خارجيه؟..

يذكر ان حزب البعث السوري يضم١,٥ مليون عضو(تتضاءل العضويه باستمرار) في حين يبلغ عدد سكان سوريا حوالي١٧ مليون نسمه..

ان الموتمر هو الاول الذي ينعقد منذ سقوط البعث العراقي في عام٢٠٠٣، وقد ركزت الولايات المتحده الكثير من جهودها علي سوريا، علي الرغم من ان العراق هو الذي يشهد بور عنف.. ومن الموكد ان استجابه سوريا للتغيير سوف تصاحبها مقاومه، ثم محاولات للجمع بين التغيير المطلوب وتقاليد العمل السياسي الذي درج عليه النظام.. فكيف تقرير ماهو تحول حقيقي، وماتجري تلبيته فقط من اجل تخفيف حده الضغط؟..

ان علامه لاتخطئ في الاشاره الي انفراجه هي موقف القياده من قضايا حقوق الانسان.. وقد ناشد اكثر من٢٠٠ ناشط سوري في مجال حقوق الانسان حزب البعث اطلاق سراح معتقلين سياسيين بينهم نائبان برلمانيان جردا من حصانتهما البرلمانيه وحكم عليهما بالسجن٥ سنوات في عام ا ٢٠٠.. وكان النائبان قد اعتقلا حين داهمت قوات الامن مايسمي بالصالونات السياسيه، وهي اجتماعات يعقدها مثقفون في منازل خاصه لمناقشه الاصلاحات الديمقراطيه.. وكان الاتهام التحريض وترويج الاشاعات وضرب الوحده الوطنيه.. وعلي حد علمنا، مازال اغلبهم قيد الحبس..

ان سوريا تتعرض لضغوط خارجيه ومحليه ضخمه لاجراء تغييرات اصلاحيه اساسيه.. وقد قال المسئولون السوريون ان اي تغييرات يتم تبنيها في الموتمر لن تكون نتيجه هذه الضغوط، التي تعاظمت في اعقاب اغتيال الحريري في فبراير الماضي.

ليس من السهل تصور السيناريو الذي حكم استقاله عبدالحليم خدام، الرجل الثاني في النظام السوري، وقد سرب النبا قبيل عقد الموتمر.. هل تخلي عن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كل مناصبه طواعيه، ام وجد نفسه مجبرا؟.. هل كان ذلك نتيجه صراعات داخليه ام بسبب ضغوط من الخارج.. او الامرين معا؟.. هل لخلاف مع اطراف قياديه اخري، وعلي راسهم فاروق الشرع، وزير الخارجيه، كما تشيع بعض المصادر؟.. انها امور تتعذر معرفتها بدقه، ذلك ان النظام يفتقر الي الشفافيه ويحرص علي الكتمان التام في كل مايتعلق بجوهريات النظام..

سوريا ولبنان

ثم لايمكن الحديث عن سوريا بدون حديث عن لبنان.. وعن اصرار العالم الغربي باسره علي خروج القوات السوريه من لبنان ووضع حد نهائي لاجهزه المخابرات السوريه التي تواصل مباشرتها لانشطتها من الاراضي اللبنانيه.. ولا اعتراف غربيا قط بالاتفاقات التي ابرمت بين البلدين فيما يتعلق باوجه التعاون بينهما..

وثمه اشكاليه لاتحتمل الاغفال في العلاقه بين سوريا ولبنان، وهي ان للبنان مشكله اجلاء قوات سوريه من اراضيه كما ان لسوريا مشكله اجلاء قوات اسرائيليه من اراضيها.. فثمه قضيه وطنيه كثيرا ما شغلت اللبنانيين ضد الاحتلال السوري، كما كان ولايزال للسوريين قضيه وطنيه مبعثها الاحتلال الاسرائيلي لارض الجولان السوريه.. ومقتل سمير قصير نموذج حي لكيفيه وقوف هذا الاحتلال المزدوج عقبه في وجه تسويه المشكلتين اللبنانيه والسوريه علي حد سواء.

بتعبير اخر: هل تعطي الحركه اللبنانيه الاولويه لمواجهتها مع سوريا، ام للمواجهه المشتركه السوريه/ اللبنانيه مع اسرائيل؟.. ماالعمل وقد بلغ الحال حد ان المواجهه مع اسرائيل مغفله، لاحتدام المواجهه بين الحركه الوطنيه اللبنانيه من جانب، وبين سياسه سوريا ازاء لبنان من الجانب الاخر؟..

ماذا انجز الموتمر؟

لقد تركزت مناقشات الموتمر في٣ لجان متخصصه هي اللجنه التنظيميه واللجنه الاقتصاديه واللجنه السياسيه.. وقد اصدرت في ختام مناقشات طويله توصياتها التي شكلت مقررات الموتمر، والتي كان ابرزها مراجعه قانون الطوارئ والسماح بانشاء احزاب سياسيه جديده، لا هي طائفيه، ولا عرقيه، في اشاره واضحه الي استمرار حظر جماعه الاخوان المسلمين، الذي مازال قائما منذ عام١٩٨٢..

اما عن نشاط اللجنه الاقتصاديه، فقد تبني الموتمر ماسمي باقتصاد السوق الاشتراكيه مع رفض مسبق لاعتماد مصطلح اقتصاد السوق، رغم التوجه تدريجيا نحو فتح الاسواق السوريه وخصخصه بعض مجالات الاقتصاد..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وقد اعتبرت معظم اطراف المعارضه ان الموتمر لم يحقق المامول منه وجاء دون التوقعات المرجوه.. وقد انعقد في وقت اصدر فيه مثقفون ونشطاء سوريون نداء حثوا فيه البعثيين علي اطلاق سراح المسجونين السياسيين وعلي عوده ربيع دمشق في اشاره الي فتره خلفت تسلم الرئيس بشار الحكم، احياء للانشطه الفكريه والسياسيه مع انتشار المنتديات والصالونات، والتي سرعان مااغلقت لاحقا، واعتقل بعض اعضائها..

وليس هناك اجماع في قبول مقوله ان حرسا جديدا داخل البعث قد حل محل الحرس القديم، استنادا الي استبعاد معظم القيادات التقليديه واحلال وجوه جديده محلها.. وهناك من يشير الي ان مفاجاه الموتمر هي انتخاب مدير المخابرات العامه في القياده القطريه، مما يوحي بان المرحله القادمه ستعطي مزيدا من الصلاحيات للسلطات الامنيه في الدوله.. ذلك في وقت خصص الموتمر فيه وقتا وجهدا لمراجعه قانون الطوارئ دون الغائه الغاء تاما..

ان اغلب الوجوه الجديده، وان كانت وجوها شابه، فانها ليست بعيده عن السلطه، ولم تات من خارجها، بل كانوا يعملون في اروقتها منذ وصول الرئيس بشار الي الحكم..

ان الذين انتظروا ان يكون الموتمر قفزه كبري قد اصيبوا بخيبه امل.. لان الذي انجز ليس في مستوي التحديات.. وبالذات اتهام الامم المتحده وليس فقط واشنطن وباريس ولندن، بعد اسبوع من مقتل سمير قصير، بان المخابرات السوريه مازالت تعمل داخل لبنان، ومازالت تخطط لاغتيالات اخري للنيل من استقرار لبنان في اعقاب الانسحاب السوري الرسمي في اوائل ابريل..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية